السنة: السادسة المجلد: 06 العدد: 01 ص ص:1268- 1286
EISSN2676-1645 ISSN 2543-375X

تأثير الأوبئة على الأمن الإنساني في دول المغرب العربي
–فيروس كورونا المستجد أنموذجا–

The impact of epidemics on humansecurity in the Arab Maghreb countries
The Coronavirus pandemic as amodel

نفيسة زريق*، جامعة المسيلة
nafissa.zerig@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام:2020/09/16 تاريخ القبول: 2020/10/28

ملخص:

تسعى الدراسة للوقوف على ما خلفته أزمة فيروس كورونا المستجد من تداعيات على الأمن الإنساني في دول المغرب العربي، وكيف شكلت بالفعل تهديدا غير تقليدي للأمن الإنساني، خاصة أن آثارها لم تمس الجانب الصحي فحسب بل امتدت للجانب الاقتصادي والغذائي، والجيوسياسي. باستخدام المنهج الوصفي التحليلي والمقارنة بالمقاربة بين الدول المغاربية الأكثر تضررا، بحيث عكست هذه الأزمة عدم جاهزيتها في مواجهة مثل هذه الاوبئة، خاصة على مستوى توافر البنيات التحتية المتعلقة بالقطاع الصحي، أو المكوّن البشري الكافي، وكذا التجهيزات اللازمة، وهو ما ينعكس سلبا على أمننا الإنساني في شقه المتعلق بالتحرر من الخوف، والتحرر من الحاجة، والتحرر من المعاناة.

الكلمات المفتاحية: فيروس كورونا المستجد– تهديد غير تقليدي–الأمن–الأمن الإنساني.

* المؤلف المراسل

Abstract:

The study seeks to find out what the new crisis of Corona virus has left for human security in the Arab Maghreb countries that are most affected, and how it actually represented an untraditional threat to the human security, especially as its effects were not related to the health side but also extended to the economic, food and geopolitical side. by Using the analytical descriptive method and the comparison Rapprochement between the Maghreb countries that are most affected On the other hand, this crisis reflected the Maghreb countries unpreparedness to confront such pests, especially at the level of the availability of health infrastructure, or the adequate human component, and the necessary equipment, which reflects negatively on our human security, in its part on freedom from fear, freedom from want, freedom from suffering.

Keywords: The Corona virus, an unconventional threat, Security, Human Security

مقدمة:

كان للتحولات الكبرى التي شهدتها نهاية الحرب الباردة الأثر المباشر في إحداث تغييرات على صعيد النقاشات الدولية، وحصول مراجعات أساسية لمفهوم الأمن والتهديدات الأمنية. ومع حجم التحديات الجديدة التي صار يفرضها النسق المتنامي للعولمة، انصرف التفكير في العلاقات الدولية إلى البحث عن آليات تنظيرية جديدة تملك متغيرات تفسيرية قادرة على استيعاب التحول في مفهوم الأمن، وانتقاله من أمن يهتم بالدولة حصرا إلى أمن يهتم بالأفراد والمجتمعات، وذلك في ظل التطور الذي طرأ على طبيعة التهديدات الأمنية نفسها.

وقد أفضى هذا الواقع وفي ظل التطور التكنولوجي والمعرفي إلى تنوع مصادر التهديد والمخاطر التي لا ترتبط بنمط التهديد العسكري التقليدي المباشر؛ بحيث تعددت وتنوعت مصادر تهديد الأمن غير التقليدية (ومن بينها الانتشار الوبائي). (علي الرشدان، 2019، ص ص116–117)

ورغم ما تطرحه الأوبئة كتهديدات غير تقليدية للأمن من مخاطر متصاعدة على الأمن الإنساني، ورغم أن تاريخ البشرية مع الأوبئة كان مروعا في الكثير من الحالات (الأنفلونزا الاسبانية عام 1918، وقبلها الطاعون الأسود في القرن الرابع العشر) وتسبب في انهيار دول ومجتمعات، إلى جانب تداعياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلا أن قدرتها اليوم على الانتشار بسرعة كبيرة من مكان إلى آخر، يُنذر بإمكانية إحداثها لكوارث صحية. (العمارات، 2020، ص47).

يواجه العالم حاليا أصعب التحديات متمثلا في الانتشار السريع لفيروس كورونا المستجد والوباء التاجي المترتب عليه (Covid–19) الذي وضع أمننا الإنساني أمام اختبار جديد في ظل الارتفاع المتزايد في أعداد الإصابات وعدد الوفيات عبر العالم، وأجبر الحكومات على اتخاذ تدابير استثنائية غير مسبوقة، من إغلاق الحدود وتعليق التجمعات، إلى تعليق الدراسة وتدخل الجيش.

تروم هذه الورقة البحث في التداعيات التي خلفها الانتشار الواسع لفيروس كورونا كأخطر أزمة وبائية في الألفية الثالثة عرت الواقع المغاربي، وأثبتت قلة خبرة الدول المغاربية في التعامل وإدارة هذه الأزمة الوبائية، وما ترتب عنها من تداعيات سياسية واقتصادية واجتماعية، وضعت أمننا الإنساني في دائرة الخطر، محاولة الإجابة على السؤال التالي: كيف أثرت أزمة كورونا كتهديد غير تقليدي على الأمن الإنساني في دول المغرب العربي، وما هي أهم تداعياتها؟

وتنطلق الدراسة من فرضية محورية مفادها: انتشار فيروس كورونا المستجد كتهديد غير تقليدي، وتداعياته الخطيرة في مختلف المجالات، يعكس إلى حد كبير قلة خبرة الدول المغاربية مع الأزمات الوبائية ما انعكس سلبا على أمننا الإنساني.

وتعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في محاولة توصيف الظاهرة (أزمة كورونا) وتداعياتها على الأمن الإنساني في المنطقة المغاربية. وتلتزم في شرطها المنهجي الابتعاد عن دراسة الحالة، والاستعاضة عنها بالمقارنة الضمنية

وتحديدا بأسلوب/ طريقة المقاربة Rapprochement التي تصلح أثناء المقارنة بالتركيز على المشتركات التي تقاسمتها دول المنطقة الأكثر تضررا من حيث تداعيات، وآثار هذه الأزمة على الأمن الإنساني فيها.

وقبل التطرق إلى محاور الدراسة تُنوه الباحثة منذ البداية إلى ثلاث نقاط مهمة:

- تعترف الدراسة أن هناك تعددا في الآراء والنظريات التي حاولت التأصيل لمفهومي الأمن والأمن الإنساني، مؤكدة أن الأمن الإنساني في هذا السياق هو نتيجة طبيعية لتطور الدراسات الأمنية النقدية بفضل مجهودات العديد من المساهمات البحثية. (بن صغير، 2020).
- تحاول الدراسة مقاربة الموضوع بالاعتماد على المقاربة النقدية للأمن التي تركز على توفير عناصر الصحة والتغذية والرفاهية والكرامة بالإضافة إلى الأبعاد الشخصية، وهو ما أصطلح عليه بالأمن الإنساني.
- اعتمدت الدراسة على "الأمن الإنساني"كمنظور جديد يستوعب التهديدات الأمنية الجديدة/ غير التقليدية، خاصة مع ظهور اتجاهات جديدة في دراسة وإعادة صياغة مفهوم الأمن وتعريفه ضمن محتوى جديد خارج إطار الدولة كمرجعية أساسية، وبدأ المفهوم بالانتقال والتوسع من الإطار العسكري الضيق إلى آفاق واسعة وأبعاد متعددة. (Lloyd Axworthy, 1999, pp 333–342)
- تنطلق الدراسة من فكرة أساسية وهي اعتبار انتشار الأوبئة واحدا من التهديدات غير التقليدية لرفاهية وسلامة وأمن الأفراد وتؤثر بالتالي على الأمن الإنساني، فاقت في خطورتها تلك التهديدات التقليدية للأمن مستدلة بما شهده العالم والمنطقة المغاربية من تداعيات انتشار فيروس كورونا المستجد.

أولا. التهديدات غير التقليدية: كيف يؤثر الوباء على أمننا الإنساني؟

انتشر استخدام مفهوم الأمن غير التقليديNon–Traditional Security في مجال الدراسات الأمنية والسياسية. وعادة ما تتم الإشارة إلى التهديدات والتحديات للأمن غير التقليدي في إطار الأمن الإنساني، للتركيز على أمن الأفراد والمجتمعات والجماعات في مواجهة تهديدات غير تقليدية واحدة من أهمها الانتشار الوبائي.

1- انتشار الأوبئة كتهديد غير تقليدي للأمن الإنساني:

تكتسب التهديدات غير التقليدية للأمن الإنساني أهميتها ليس باعتبارها جديدة بالضرورة، بل كونها تعكس تحولا قيميا في إعلاء مكانة الإنسان وقيمته في السياسة الواقعية، مقابل المكانة التقليدية المهيمنة التي احتلتها الدولة والأدوات العسكرية في تحقيق الغايات السياسية وضمان الأمن.

وقد كان ريشار داولمان Richard H.Ulman من الأوائل الذين حاولوا تقديم تعريفا أكثر شمولا للتهديدات غير التقليدية للأمن باعتبارها نشاط أو سلسلة أحداث تهدد بشكل كارثي وخلال مدى زمني محدود نسبيا، بتدهور معيشة سكان دولة ما، أو تهدد بشكل جوهري بتقليص مدى الخيارات السياسية المتاحة أمام حكومة تلك الدولة (...).(عوني، 2011، ص 05).

وطور لاحقا البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ما يمكن اعتباره تعريفا إجرائيا لما عده تهديدات غير تقليدية للأمن، في إطار مفهوم الأمن الإنساني، خاصة بعدما ظهر هذا الأخير في منتصف التسعينات كنتيجة لإدراك العالم أن أمن الدول ليس كل شيء، بل الأهم هو أمن المواطن/ الإنسان. وفي محاولته تفسير ظواهر جديدة/ غير تقليدية من التهديد الأمني حدد تقرير التنمية البشرية لعام 1994 أبرز خصائص هذه التهديدات في كونها: (عوني، 2011، ص 05)

- ذات صبغة عالمية لا تقتصر على دولة ما؛
- متداخلة بحيث يمكن أن يفضي أحد التهديدات إلى تهديد آخر أو يفاقم من تداعياته السلبية؛
- لا يمكن التعامل معها بشكل جذري وفقا لمقولات الأمن في صياغته التقليدية.

وأدخل هذا التقرير مصطلح الأمن الإنساني كإطار شامل يتمحور حول الإنسان مشتملا سبعة عناصر مترابطة: الأمن الاقتصادي والأمن الغذائي، والأمن الصحي، والأمن البيئي، الأمن الشخصي، والأمن المجتمعي، والأمن السياسي. (Menard, 2008, pp12–20)

2– تداعيات انتشار وباء كورونا كوفيد 19 على الأمن الإنساني :

تطرح الأوبئة مخاطر متصاعدة على الأمن الإنساني خاصة في ظل السمات الحالية للعولمة، وسهولة التنقل من منطقة لأخرى. وفي محاولتنا تحليل العلاقة ما بين الوباء كتهديد غير تقليدي والأمن الإنساني، تنطلق الدراسة من التحليل الذي قدمه نيف Nef للأمن الإنساني والتعرض المشترك للخطر في عالم يزداد فيه اعتماد بعضه على بعض. (منظمة الصحة العالمية، 2002، ص03)

كما يمكن طرح ومناقشة موضوع الأمن الإنساني بالأخذ بعين الاعتبار تسلسل حقوق الإنسان بما يتناسب مع فكرتي الخوف والعوز، فحق الحياة وحق الحصول على رعاية صحية وبيئة نظيفة والشعور بالأمان يمكن أن تُمس بانتشار وبائي يضرب الأمن الإنساني في الصميم. (Tadjbakhsh and M.Chenoy, 2007, p 03).

وفي هذا الصدد أكد التقرير الخاص بالصحة في العالم لسنة 2007: مستقبل أكثر أمناً: أمن الصحة العمومية العالمي في القرن الحادي والعشرين"، على ما تشكله الجائحات من خطر كبير على الحياة والاقتصاد والصحة والأمن، مؤكدا أن خطرها يزداد أكثر في ظل العولمة، وفي عالم تتزايد أطرافه ترابطاً وتداخلاً، بحيث نشهد ظهور أمراض جديدة بشكل غير مسبوق، علماً بأنّ لتلك الأمراض القدرة، غالبا، على عبور الحدود بسرعة والانتشار في بلدان أخرى. (انظر: انتشار الأمراض على الصعيد الدولي يهدّد الصحة والاقتصاد والأمن، التقرير الخاص بالصحة في العالم 2007: مستقبل أكثر أمناً - أمن الصحة العمومية العالمي في القرن الحادي والعشرين).

وهو ما أثبته التفشي الوبائي لفيروس كورونا المستجد، وما ترتب عنه من آثار سلبية لا تتعلق بالجانب الصحي فحسب، بل تمتد لمختلف المجالات. ويتسم هذا الوباء بنفس الخصائص المذكورة سابقا بما يجعل منه تهديدا غير تقليدي لأمننا الإنساني، وتهديدا مباشرا لوجود الإنسان والجماعات. ومع أن ظهوره لأول مرة كان في مدينة ووهان الصينية، لم يتوقع إمكانية انتقاله بسهولة نسبية إلى معظم دول العالم بهذه الطريقة المخيفة فأجبرتها على العزلة، وفرضت قيودا على حركة التنقل داخلها وفيما بينها.

ورغم التداعيات الإنسانية لهذا الوباء الذي خلف آلاف الضحايا والمصابين، إلا أن الأمر لم يقتصر على الوفيات والإصابات، فكانت له تداعيات أخرى (اقتصادية، جيوسياسية، صحية، غذائية...) ما يجعله بالفعل تهديدا غير تقليدي للأمن الإنساني، يتطلب تكاتفا دوليا لمواجهة الآثار المترتبة عنه. Sara (E. Davies, 2013)

ولأن المنطقة المغاربية لم تكن في منأى عن هذا التهديد الوبائي، فقد زاد الانتشار السريع له في حجم التحديات، وكانت له الكثير من التداعيات الإنسانية: العدد المتزايد للضحايا والإصابات، التحديات الصحية، التداعيات الاقتصادية: خسائر في الوظائف، تراجع الناتج المحلي الإجمالي، التباطؤ الاقتصادي الكبير الناجم عن إغلاق مؤسسات القطاع العام والخاص، ارتفاع معدلات البطالة، الأمر الذي أربك السلطات، ودفعها إلى اتخاذ تدابير غير مسبوقة.

ثانيا. دول المغرب العربي في مواجهة الجائحة: ما بين الوعي والوقاية وإدارة الأزمات.

في ظل ما يجتاح العالم من أزمة بسبب فيروس كورونا المستجد كثيرا ما يسود نوع من اللغط في الخطاب الإعلامي بين مفهومي الوقاية المفروض أن تكون سابقة باتخاذ إجراءات وقائية، واعتماد أسلوب توعوي لتنمية وعي الجماهير بخطورة الفيروس، ومن ثم تجنب قدر المستطاع أسباب الإصابة، وما بين إدارة الأزمة باعتبارها إدارة حكومية لعواقب ما قبل وبعد تفشي الوباء.

1- الإجراءات الوقائية كخطوة ضرورية لتطبيق السياسة الحكومية:

رغم تأكيد الدارسين على الاختلاف بين مفهومي الوقاية وإدارة الأزمات إلا أنهما غير منفصلين تماما، فاتخاذ إجراءات وقائية أساسية ضد الجائحة الوبائية لا يعني تكتيف الحكومات المغاربية أيديها عن ما يترتب من نتائج، بل يتطلب الأمر اعتماد سياسة حكومية متكاملة قصد محاصرة هذا الوباء.

وقد أبدت الحكومات المغاربية توافقا في ما يتعلق بالإجراءات الوقائية المتخذة بهدف محاصرة انتشار الفيروس رغم اختلافها في التوقيت. فسارعت السلطات المغربية في وقت مبكر نسبيا إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات لكبح انتشار الوباء؛ فعلقت الرحلات الدولية مع الصين، وشددت المراقبة في الموانئ والمطارات الدولية منذ نهاية شهر يناير/جانفي، وفرضت حجرا صحيا

منذ 20 آذار/مارس المنصرم، وأمرت بإغلاق المساجد والمقاهي والمطاعم وكافة المرافق.(https://bit.ly/32QLPph)

ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة للإجراءات الوقائية الاستباقية في تونس، وراهنت على حملة إعلامية لمواجهة تفشي الوباء. ومع الإعلان عن أول حالة إصابة في بداية شهر آذار/مارس 2020، بدأت السلطات في المطارات والموانئ التونسية بإجراء قياسات لدرجة حرارة المسافرين القادمين إلى البلاد، وفرض الحجر الصحي على القادمين من إيطاليا. وبعد ارتفاع عدد الإصابات المؤكَّدة شددت الحكومة إجراءاتها الاحترازية بسرعة ملحوظة، وفرضت قيودًا جديدة واتّخذت إجراءات حازمة ومباشرة لوقف العمل في البلاد.(جراد، 2020، ص03).

أما بالنسبة للجزائر، فقد اتخذت السلطات جملة من الإجراءات الوقائية، وأعلن رئيس الجمهورية عن قرارات فورية لمنع انتشار الفيروس، كالغلق الفوري للحدود مع كل بلدان الجوار، تعليق كل الرحلات الجوية والرحلات البحرية من وإلى الجزائر، ومنع التجمعات والمسيرات كيفما كان شكلها وعنوانها، وغلق أي بؤر مشتبهة للوباء، وتعليق صلاة الجمعة والجماعة في المساجد ثم غلقها، وحث المواطنين على ضرورة أن يلعبوا الدور الأساسي في الوقاية من هذا الوباء والالتزام الصارم بشروط النظافة والوقاية.(جابلي، 2020).

وعلى أهمية هذه الإجراءات الوقائية في التقليل من انتشار الفيروس إلا أنها لم تكن كافية خاصة في ضل تداعيات الأزمة على المستوى الدولي، ما تطلب البحث عن حلول أكثر فعالية لإدارة الأزمة، والتقليل من انعكاساتها السلبية على الأمن الإنساني في مختلف مجالاته.

2- انتشار الجائحة الوبائية: الأمن الإنساني وإدارة الأزمات في الدول المغاربية:

تمثّل الجائحات خطراً كبيراً على الحياة والاقتصاد والأمن في عالم تزداد فيه مظاهر العولمة؛ فقد زاد تأثير الأمراض الوبائية بشكل كبير في العقود الأخيرة مع ازدياد وتيرة الهجرة والتجارة على الصعيد العالمي بشكل كبير، إذ أصبح العالم أكثر ترابطاً ببعضه بعضاً، حيث تقوم شركات الطيران سنوياً بنقل أكثر من 20٪ من تعداد السكان في العالم.(Sara E.Davies, 2013)

وقد رفع هذا الترابط من خطر تفشّي الأمراض المعدية على الصعيد العالمي، وغدا انتقال الأمراض وتفشيها في أية دولة تهديداً مباشراً لأمنها وأمن أفرادها، وتهديدا للأمن العالمي.

ولأن دول المغرب العربي تشكل طرفا مهما في المحيط الدولي سواء ما تعلق بالجانب الاقتصادي بحيث تشكل الصين واحدة من أكبر المستثمرين في البنية التحتية في المنطقة المغاربية (الجزائر) أو بالتجارة، أو فيما يتعلق بالسياحة (بحيث تعد مثلا تونس والمغرب وجهة سياحية بامتياز للسياح الصينيين والأوربيين).الأمر الذي تطلب اتخاذها العديد من الخطوات المهمة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والأمنية والصحية لمكافحة انتشار الفيروس، وضعت الحكومات أمام تحدي النجاح في إدارة الأزمة الوبائية والتغلب على انعكاساتها.

وإن اختلفت الدول المغاربية في توقيت الخطوات الحاسمة التي اتخذتها لمواجهة الجائحة، فهي تشترك تقريبا في أهمهما، خاصة ما تعلق بإغلاق حدود البلاد، والتوقيف المرحلي للدراسة وإلغاء كافة أشكال التجمعات والتظاهرات. والوقوف على مدى جاهزية المستشفيات لاستقبال الإصابات المحتملة، وتوفر الأسواق الوطنية على المواد الغذائية الكافية.

والتأكيد على وضع المراكز الطبية العسكرية المجهزة رهن إشارة المنظومة الصحية الوطنية، وإشراك أجهزة وزارة الداخلية والأمن الوطني من أجل تأمين وتعزيز تنفيذ الإجراءات المتخذة، وضمان تنسيق مختلف الخطوات وتكاملها وفق رؤية مشتركة.

وعلى مستوى التعبئة المالية وقصد تدبير الآثار المترتبة على هذه الأزمة، اتخذت سلطات الدول المغاربية عدة إجراءات، تراوحت ما بين إحداث الصندوق الخاص بتدبير ملف الجائحة، وتوجيه مخصصات هامة من الدولة للتخفيف من حدة التبعات الاقتصادية والانعكاسات الاجتماعية التي يمكن أن تتسبب فيها الإجراءات والقرارات المتخذة في سبيل الحد من انتشار الفيروس. إلى جانب رصد مبالغ مالية مهمة لوزارة الصحة وحتى تخصيص منح مالية لأعوان الصحة العمومية الموجودين في خط التماس مع الوباء.(أبو الزهور، 2020).

ثالثا. تداعيات انتشار الفيروس على الأمن الإنساني في دول المغرب العربي:

أكّد الانتشار الواسع لفيروس كورونا كوفيد 19 على صدق مسلمة مهمة طالما ربطت ما بين التهديدات غير التقليدية والأمن الإنساني، وأكدت أن الأوبئة تعدّ من ضمن أهمّ التهديدات التي تحيط به، بل إنها تتجاوز في جزء كبير من تداعياتها مخاطر الحروب.

1- تأثير جائحة كورونا على أمننا الإنساني:

تعكس جملة الإجراءات التي اتخذتها سلطات الدول المغاربية التداعيات السلبية لانتشار الوباء على الأمن الإنساني. ومنذ أن تمَّ تعريفه من قبل منظمة الأمم المتحدة في العام 1994 ، وكما جاء في تقرير برنامج هذه الأخيرة للتنمية (الـUNDP)، أصبح مفهوم الأمن الإنساني يغطي كل ما يمكن أن يهدد حياة البشر والمجموعات الإنسانية، بما فيها انتشار الأوبئة.

وإذا كان الأمن الإنساني يهدف إلى تحقيق ثلاث أهداف مترابطة هي: التحرر من الخوف والحاجة والمعاناة، وتعني من الوجهة السوسيولوجية أن الأمن يعني غياب الخطر المادي، والحماية من القلق النفسي، والتحرر من الخوف، فإن الواقع يختلف تماما في دول المغرب العربي، بحيث أدى انتشار الفيروس فيها إلى تداعيات خطيرة مست الأمن الإنساني، وزادت في خوف ومعاناة الأفراد وفي عدم قدرتهم على تلبية حاجياتهم. ويمكن أن نستشف تداعيات انتشار الفيروس بالتركيز على المجالات التالية:

- **المجال الشخصي أو الأمن الشخصي**: يعتبر من أهم عناصر الأمن الإنساني لتمحوره حول كيفية تأمين الحماية للأفراد من أي تهديد، وتحريرهم من الخوف والمعاناة والحاجة. لقد خلفت ازمة كورونا ضحايا وإصابات بلغت مثلا 48734 إصابة و1632 وفاة في الجزائر، و90324 إصابة و1648 وفاة في المغرب. ولأن الأمر لا يتعلق فقط بضمان صحة وسلامة الأفراد الجسدية، بل يشمل أيضا تمكين الإنسان من تحقيق خصوصياته العقيدية.(إدري، 2012/2011، ص 46)، فقد أثار اتخاذ السلطات المغاربية للعديد من الإجراءات مست الجانب العقائدي، كقرار تعليق الصلاة ثم قرار إغلاق المساجد، حفيظة الأفراد واعتبرت مساسا بأمنهم الشخصي.

• المجال الغذائي أو الأمن الغذائي: يعتبر هو الآخر من أهم عناصر الأمن الإنساني لارتباطه بمدى تمتع كافة الأفراد في جميع الأوقات بفرص الحصول على أغذية كافية تلبي احتياجاتهم.

وقد فرضت قضية الأمن الغذائي نفسها بقوة في الدول المغاربية مع استمرار أزمة فيروس كورونا واتجاه السلطات إلى اعتماد إجراءات وقائية كحظر التجول العام أو الجزئي والحجر الصحي، ترتب عنها إشكالات عدة تتعلق بالتزود بالمواد الغذائية الأساسية، عكسته الطوابير الطويلة أمام المتاجر والفضاءات التجارية الكبرى، كرد فعل عن الذعر الذي يمكن أن يؤدي إلى تفاقم الاضطرابات وتدهور الغذاء وأمن التغذية لأكثر الفئات ضعفا. (FAO , 2020)

ويتزامن هذا التخوف في ظل المرتبات المتدنية التي تحتلها الدول المغاربية وفق مؤشر الأمن الغذائي (تحتل تونس مثلا المرتبة 51 عالميا من جملة 113 دولة)، إلى جانب ما تعانيه من تبعية للخارج في ما يخص المواد الغذائية لا سيما القمح.

• المجال الاقتصادي أو الأمن الاقتصادي:

يعتبر الأمن الاقتصادي من أهم دعامات الأمن الإنساني لتداخل الاقتصاد مع مختلف مجالات الحياة، فلا يمكن الحديث عن تنمية بشرية من صحة وغذاء وتعليم، إلا في ظل اقتصاد قوي.

وقد كان تأثير الجائحة واضحا على الأمن الاقتصادي لهذه الدول، وكان التداعيات الاقتصادية من جراء الأزمة الوبائية والتدابير المتخذة لمواجهتها تأثيرها الواضح على الأمن الاقتصادي، بما يشمل من تدابير الحماية والضمان التي تؤهل الإنسان للحصول على حاجاته الأساسية، وضمان الحد الأدنى لمستوى المعيشة.(ستيتي، 2015، ص53)

وساهمت الآثار المترتبة عن مواجهة فيروس كورونا في تقويض إمكانات الأمن الاقتصادي الحقيقية، في ظل ما يعانيه اقتصادها من أزمة هيكلية؛ ففي تونس مثلا أفضت الأزمة إلى تراجع في النمو الاقتصادي بنسبة 4%. ومع مسارعة السلطات إلى إغلاق المؤسسات الأمر انعكس سلبا على دخل وعمل

الأفراد، ما ساهم في ارتفاع نسبة الفقر إلى 20 %، وتسجيل نحو 200 ألف عاطل جديد عن العمل.

ولا يختلف الامر بالنسبة للمغرب بحيث أكدت تقارير رسمية أن الأزمة تهدد بدفع مليون و58 ألف مغربي نحو الفقر، وما يناهز 950 ألف أجير متوقف عن العمل.(maghrebvoices.com)

ولأن القطاع السياحي يعتبر العصب الحيوي لاقتصاد بعض الدول المغاربية، سيعاني المغرب وتونس مع استمرار القيود على السفر بسبب تراجع عائداتها(حسب الاحصائيات قطاع السياحة بـ 12% من الناتج الإجمالي في تونس و8% بالنسية للمغرب). ومع هبوط أسعار النفط ستعاني الجزائر التي تعتمد على تصدير الهدروكربون من انخفاض بنسبة 3,9 % في إجمالي الناتج الداخلي، واقتراب نسبة البطالة من 15%. وبما أن عائدات السياحة والريع تشكل قوة دفع رئيسية للأمن الاقتصادي للدول المغاربية، فإن تراجعها سوف ينعكس لا محالة على خدمات الصحة والتعليم والإسكان وغيرها تحت ضغط تراجع معدلات الإنفاق العام. (عميرة ، 2020، ص02).

إلى جانب ذلك ستكون للإجراءات المتخذة لمواجهة هذه الأزمة الصحية كفرض الحجر الصحي الإلزامي تأثيرها الواضح على القطاع غير المهيكل في هذه الدول، نظرا للتسريح الجزئي لليد العاملة غير المهيكلة، بحيث يمثل العاملون في القطاع غير المهيكل ما نسبته 79.9 % في المغرب، و63.3% في الجزائر، و58.8% في تونس حسب أرقام نشرتها منظمة العمل الدولية في 2018. وفي هذا الصدد فقد حوالي 66 % من العمال وظائفهم في المغرب،

ورغم أن الحكومات المغاربية تعهدت بصرف مساعدات طارئة للفئات التي فقدت عملها، تبقى غير ذات قيمة ولا تغطي إلا جزءا من مصاريفها الأساسية؛ ما يتعارض مع مفهوم الأمن الاقتصادي في شقه المتعلق بامتلاك المرء الوسائل المادية التي تمكنه من أن يحيا حياة مستقرة بامتلاكه ما يكفي من نقود تُشبع حاجاته الأساسية كالغذاء والمأوى والرعاية الصحية. (Tarik M ,Alaadin and other, 2020)

• **المجال الصحي أو الأمن الصحي**:

تبرز أهمية الأمن الصحي في تمحوره حول كيفية حماية الأفراد من جميع الأخطار الصحية التي تواجههم، وتمكينهم من العيش في بيئة خالية من الأمراض. وقد كشف الانتشار الكبير لفيروس كورونا في الدول المغاربية، والآثار المترتبة عنه خاصة ما تعلق بعدد الإصابات وعدد الضحايا، حقيقة خطر الأوبئة العابرة للحدود على الأمن الصحي.

ووجدت هذه الدول نفسها في أزمة حقيقية خاصة مع احتلالها لمراتب دنيا وفق مؤشر الأمن الصحي العالمي (فمثلا يحتل الأمن الصحّي الجزائري المرتبة 173 من أصل 195، للعام 2019)، ما يعكس عدم استعدادها للتصدي لمثل هذه الأخطار الوبائية.

إلى جانب الاختلال في قطاع الصحة العمومية كضعف البنى التحتية للصحة العامة، وعدم جاهزية الكثير منها لمواجهة آثار الانتشار الواسع لمثل هذه الفيروسات الجديدة المقاومة للقاحات. وقد عَرّت الأزمة النظام الصحي المغاربي، وأظهرت مكامن ضعفه خاصة مسألة التوزيع غير المنصف للمرافق الصحية وعدد الأطباء، فنجد في تونس مثلا انحصار المستشفيات الجامعية في خمس مناطق ساحلية، و13 من أصل 24 محافظة لا توجد فيها أسرة مستشفيات مجهزة طبيا.(جراد، 2020، ص 02)

ويعكس تدني عدد التحاليل المخبرية لكشف الإصابة بالفيروس خاصة مع حرمان الكثير من المناطق الداخلية في هذه الدول من مخابر التحاليل ضعف الامكانيات. فقد انحصرت في تونس في أربع مدن ساحلية، أما في الجزائر فتركز مخبر تحليل وحيد في العاصمة في بداية الأزمة، لم يعكس أرقاما حقيقية لعدد المصابين، إلى جانب النقص في عدد أسرة الإنعاش، كما هو الحال مثلا في المغرب 1642 سرير مقابل 35 مليون عدد سكانه.(مبروك، 2020).

أمام كل هذه التداعيات السلبية المترتبة عن الانتشار الواسع للفيروس لم تجد الدول المغاربية المتضررة إلا التوجه نحو أمننة أزمة "كوفيد -19". ومع أن البعض يعتبره استجابة سريعة وحاسمة إزاء أزمة حرجة في مجال الصحة

العامة، وضرورة من أجل منع التفشي الكثيف للوباء بسبب إدراك الحكومات لنقص الموارد الضرورية، يتخوف الكثير من إمكانية إساءة استخدام العمل الصحي المحايد لأغراض سياسية.(Al-Sharafat.2020)

2 –أمننة أزمة فيروس كورونا في دول المغرب العربي...هل يطغى أمن الدولة على أمن الإنسان؟

مع الانتشار الواسع لفيروس كورونا المستجد، تواجه الدول المغاربية تحديات وخيارات مماثلة في كيفية الاستجابة لمواجهة آثار هذه الأزمة الصحية التي استوجبت عودة الحديث عن دور الدولة في حماية المجتمع، والحفاظ على صحة المواطن كمهام أصيلة لها.

ولأن تداعيات الأزمة مست مختلف جوانب الأمن الإنساني في هذه الدول كما ذكرنا سابقا، وعلى أهمية الإجراءات المتخذة للتخفيف من تداعياتها، يرى البعض أنها عكست عودة قوية للدولة كفاعل رئيسي في إدارة شؤونها الداخلية. ووفقا للنموذج التحليلي الشائع في أدبيات حوكمة الصحة العالمية؛ "نموذج تحليل حدث وبائي غير عاديUnusualEpidemologic Event "، سيترتب عنها تحويل الصحة العامة من التركيز الإنساني على الصعيدين الوطني والدولي إلى تركيز أمني. وسينتج عنها تغيير في الأولويات، وانتقال أسس رصد الأمراض من العمل الإنساني نحو حماية الأمن الوطني، في إطار ما يعرف بأمننة الأوبئة (زكاوي، 2020، ص01)

وسينعكس ذلك في جملة من التدابير الوقائية تندرج في الإطار النظري العام للأمننة sécuritization وما يعنيه من "الاستحضار القوي للبعد الأمني في التعاطي مع قضايا غير أمنية، وتصويرها كتهديد وجودي شامل للدولة. وهي العملية التي تعيد فيها الجهات الفاعلة السياسية تصنيف موضوعٍ ما كمسألة أمنية، ثمّ تستخدم فعل الكلام لإقناع الناس بأهمية المسألة، والحاجة إلى تكريس موارد غير متماثلة لها. وتصبح بالتالي رهانا أمنيا متى ما تم تأطيرها عبر خطاب أمني على أنها تُشكل تهديدا يتطلب إجراءات مستعجلة، ويبرر الأعمال خارج الحدود الطبيعية للإجراء السياسي.(بوستي، 2018، ص 189)

وبغض النظر عن مختلف التفسيرات النظرية لمفهوم الأمننة كنظرية واعدة لدراسة الأمن، سيقتصر التركيز على قدرة النخب على تطبيق تشكيلة واسعة من الإجراءات الاستثنائية ردا على عدد متزايد من التطورات، وذلك بناء على الخطاب والممارسة الأمنية (واتسون، 2012، ص 200)

لقد حاولت الدراسة هنا ربط مفهوم الأمننة مع أزمة فيروس كورونا المستجد وانعكاسات ذلك على أمن الإنسان في الدول المغاربية، باعتبار أنه في اللحظة التي تنجح فيها عملية أمننة أزمة كورونا، بمعنى تقوم الدولة كطرف فاعل بنقل هذه الأزمة بعيداً عن السياسة إلى مجال الاهتمامات الأمنيّة، ستلجأ لإضفاء الشرعيّة على وسائل غير عاديّة ضدّ تهديدات هي في الأصل اجتماعيّة من أجل مواجهتها، مع ما تشمله العملية من اتخاذ عدة إجراءات قد تؤثر على أمن الأفراد كإعلان حالة الطوارئ أو القانون العرفي، بالإضافة إلى حشد القوات الأمنية.

ومن شأن سيادة خطاب اللاأمن أن يُسهم في انتشار الخوف الدائم من مجهول قادم، وهو ما يتعارض مع مفهوم الأمن الإنساني الذي يركز على تحرير الإنسان من الخوف والحاجة، ويُعنى بالتخلص من كل ما يهدد أمنه السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي.

ويرى الكثير من المهتمين أن ما يهدد الأمن الإنساني في الدول المغاربية هو اللجوء إلى الأمننة المفرطة، خاصة مع عملها على إعادة توزيع قواتها الأمنية في المجال العام، لأجل إجبار المواطنين على احترام قواعد الحجر الصحي، والتذكير دوماً بأن هناك تهديداً وخطرا محتملاً، وأن "الدولة" وحدها الأقدر على تدبير كل الأزمات.

أما الجانب الآخر لمعضلة الأمننة الذي قد يُؤثر على أمن الأفراد فيتعلق بتنامي الشعور بتراجع الحرّيّات، ما يؤدي إلى بروز تحدّيات مجتمعيّة جدّيّة مثل ارتفاع معدّلات الجرائم والسلب والسرقة وانتشار تعاطي المخدِّرات، وازدياد الإصابة بالأمراض الاجتماعيّة والعقليّة وربّما الانتحار. وتُعتبر هذه المخاطر تحدّياً يواجه كافة أصناف الدول والأنظمة، لكنّه أشدّ خطورة في الدول غير الديمقراطيّة. (Al-Sharafat.2020)

وخلاصة القول رغم ما شكلته الأزمة الصحية لفيروس كورونا بتداعياتها المختلفة وتأثيراتها المتنوعة من تهديد حقيقي لأمن الوطن والمواطن على حد سواء ترتب عنها النزوع بشدة نحو أمننة الأزمة. وعلى أهمية "نموذج الأمننة" المغاربي الذي أثبت نفسه في بعض الحالات، كوسيلة فعّالة وسريعة وصارمة لحشد كافة الموارد اللازمة المتاحة في وجه الوباء من أجل الحفاظ على الأرواح والأملاك قبل تمكّن المرض من إصابة نسبة كبيرة من السكّان.(Al-Sharafat, 2020)

إلا أن ذلك لا يعني أن يتحول مع طول الاستعمال إلى مشوش كبير للفعل الاجتماعي، ومعيق لبناء علاقات نِدِّية بين المواطن والسلطة، ويضع المجال العام في أشد حالات المراقبة والترقب والخوف والهلع، ما يتناقض مع مفهوم الأمن الإنساني. فالأمر يحتاج إلى استحضار منطق "الحكامة الأخلاقية وأهمية مفهوم الأمن الإنساني فيها، والنظرية الأخلاقية في تفسيرها للفعل الأمني في بعده الأخلاقي، التي تركز على الترابط ما بين احترام الضوابط الأخلاقية واحترام حقوق وكرامة الإنسان. (حمزاوي، 2018، ص 02)

3- الدروس المستفادة من أزمة كورونا: او ما يجب أن تستوعبه الدول المغاربية:

اثبت الانتشار الواسع لفيروس كورونا المستجد وتداعيات انتشاره في الدول المغاربية، قدرته أن يشكل واحدا من أهمّ التهديدات التي تحيط بالأمن الإنساني، ما يستوجب مراجعة الرؤى والتصورات لمرحلة ما بعد كورونا، وتضافر الجهود للتصدي لمثل هذه التهديدات غير تقليدية التي تمس بأمن الأفراد. وهو ما يتطلب:

- إعادة النظر في السياسات العمومية عبر ترتيب الأولويات من جديد، والتركيز على تشجيع البحث العلمي في كل المجالات، ورفع قيمة الدعم المالي المخصص له من قبل الدولة والخواص؛
- تخصيص جزء هام من ميزانية الدول المغاربية لقطاع الصحة، خاصة أن الوباء كشف عدم جاهزيتها لمواجهة هذه الآفة على مستوى توافر البنيات التحتية المتعلقة بالقطاع الصحي، أو المكوّن البشري الكافي، وكذا التجهيزات اللازمة؛

- إيلاء مزيد من الاهتمام لتقنية إدارة الأزمات كأسلوب مستدام ضمن أجندة الدول المغاربية، بإدراج تخصصات تعنى بإدارة الكوارث ضمن جميع الأقسام التعليمية كسبيل لترسيخ ثقافة تدبير الأزمة، وإحداث مراكز علمية دائمة لرصد الازمات على المستويات الوطنية؛
- التغيير الجذري للمنوال الاقتصادي بالتحول نحو الاقتصاد المنتج، وإعطاء أولوية للقطاع الفلاحي لتأمين الاكتفاء الذاتي من الغذاء.

خاتمة:

تعرضت الدراسة إلى آثار وتداعيات فيروس كورونا المستجد على الأمن الإنساني في الدول المغاربية وقد توصلت إلى جملة من النتائج أهمها:

– يركز مفهوم الأمن الإنساني على إعطاء الأولوية لأمن الأفراد خاصة ما تعلق بتحقيق سلامتهم ورفاهيتهم وأمنهم، وهو ما تركز عليه النظرية النقدية للأمن في إطار ما يعرف بمجالات الأمن الإنساني؛

– لم تعد التهديدات العسكرية / التقليدية الخطر الوحيد الذي يترصد بأمن الأفراد، بل أضحى انتشار الأوبئة والجائحات المقاومة للقاحات، في ما يعرف بالتهديدات غير التقليدية، واحدة من أخطر ما يواجه الأمن الإنساني على الاطلاق؛

– شكل انتشار فيروس كورونا المستجد مع ما خلفه من إصابات وضحايا، تهديدا غير تقليدي للأمن الإنساني في الدول المغاربية الأكثر تضررا، وعكس عدم جاهزيتها لمواجهة مثل هذه الأزمات، وبخاصة على مستوى توافر البنيات التحتية المتعلقة بالقطاع الصحي، أو المكوّن البشري الكافي، وكذا التجهيزات اللازمة، ما ينعكس سلبا على أمننا الإنساني في شقه المتعلق بالتحرر من الخوف و الحاجة والمعاناة.

– تتجه العديد من الحكومات لإدراك تهديدات الأمن الصحي ومن ثم دمجها في استراتيجياتها الأمنية، إلا أن الخوف يبقى من استخدام العمل الصحي المحايد في الدول المغاربية لأغراض سياسية، أو يطغى على أمن الإنسان بما يؤدي إلى أمننة الأزمة في هذه الدول؛

– ضرورة إيجاد آليات تعاون مشترك لاحتواء الأزمة والتقليل من تداعياتها السلبية على الأمن الإنساني، ولما لا البحث في آفاق شراكة مغاربية في البحوث العلمية لمواجهة مثل هذه الجائحة الوبائية كتهديد غير تقليدي للأمن الإنساني.

قائمة المراجع:

الكتب:

- العمارات، فارس محمد.(2020). الأمن الإنساني في ظل العولمة، عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع .

– Shahrbanou, Tadjbakhsh and Anuradha, M.Chenoy.(2007). Human Security: concepts and implications,Routledge. London and NewYork.

- بوستي، توفيق،(2018). مدرسة كوبنهاجن والتحول في مفهوم الأمن: نحو إطار جديد للتحليل. المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد 13، ص ص 179–192.

- ستيتي، الزازية،(2015). الثروة البترولية والأمن الاقتصادي العربي، مجلة المستقبل العربي. العدد 432 ، ص ص 53–62.

- علي الرشدان، عبد الفتاح،(2019). تطور مفهوم الأمن العالمي. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 46، العدد 03، ص ص 116–117.

- عوني، مالك،(2011). رهان الثورات...تصاعد مشكلات الأمن غير التقليدي في المنطقة العربية. مجلة السياسة الدولية، المجلد 46، العدد 186، ص05.

- واتسون، سكوتن، (2012). الإنسان ككيان مرجعي للأمن؟ النزعة الإنسانية باعتبارها إحدى قطاعات الأمننة. ترجمة سميرة سليمان، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد 02، ص ص 199–212.

– Lloyd, Axworthy.(1999). La sécurité humaine: la sécurité des - individus dans un monde en mutation. Politique étrangère. 64–2, pp. 333–334.

– Menard , Stéphanie .(2008). La sécurité humaine aujourd'hui: pourquoi les populations marginales s´appauvrissent–elles encore?". collaboration spécial, pp.12–20.

حمزاوي، زين العابدين.(2018). المقاربة الأخلاقية في المجال الأمني، ورقة عمل قدمت في اليوم الدراسي حول: الحكامة الأمنية والأخلاق، وجدة. مركز الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2018/05/03.

–إدري، صفية. (2012/2011). دور المنظمات الدولية غير الحكومية في تفعيل مضامين الأمن الإنساني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصصالإدارة الدولية، قسم العلوم السياسية ، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باتنة .

- – هيثم عميرة، فرناندث، فيروس كورونا في الدول العربية:عاصفة عابرة، فرصة للتغيير أم كارثة إقليمية؟، على الموقع الالكتروني : https://bit.ly/3joroFU، تم التصفح بتاريخ : 2020/05/07.

- أبو الزهور، ياسمينة، جائحة كوفيد–19 في المنطقة المغاربية: الآثار والاستجابة، نشر على الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/30tBdd8 ، تم التصفح بتاريخ: 2020/05/19.

- بن صغير، عبد العظيم، في ظل التهديدات التقليدية واللاتماثلية: جدلية العلاقة بين الأمن بالمنظور الواقعي والأمن الإنساني، نشر على الموقع الالكتروني:https://bit.ly/2ZEChvr، تم التصفح بتاريخ: 2020/05/30.

- جابلي، حنان، كيف واجهت دول المغرب العربي فيروس كورونا، نشر على الموقع الإلكتروني:https://bit.ly/2ZENoEA تم التصفح بتاريخ:2020/06/15 .

- جراد، اية، تونس تواجه فيروس الكورونا: إجراءات استثنائية لمواجهة ظروف استثنائية، مبادرة الإصلاح العربي، نشر على الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/396u3iR، تم التصفح بتاريخ:2020/07/15.

- زكاوي، نبيل، أزمة كورونا العالمية: حدث وبائي يُقلد هجوما بيولوجيا، نشر على الموقع الإلكتروني:https://bit.ly/30mPYOH، تم التصفح بتاريخ: 2020/05/08

- الشرفات، سعود، ما المقصود بأمننة أزمة كورونا، وهل تدرك المجتمعات عواقبها، نشر على الموقع الإلكتروني:https://bit.ly/2Wwd3x4، تم التصفح بتاريخ: 2020/05/04.

- لكريني، إدريس، هل يستوعب العالم دروس الوباء؟...الأمن الإنساني وإدارة الأزمات، نشر على الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/2OD1vDW، تم التصفح بتاريخ: 2020/04/13.

- مبروك، المهدي، عندما يعري كورونا أنظمة الصحة المغاربية، نشر على الموقع الإلكتروني:https://bit.ly/2BeDqjY، تم التصفح بتاريخ:2020/07/15.

- منظمة الصحة العالمية، الصحة والأمن الإنساني، نشر على الموقع الالكتروني: https://bit.ly/3jmJ70l، تم التصفح بتاريخ : 2020/05/15 .

- ميدل ايست اونلاين ، دول المغرب العربي تتخذ إجراءات صارمة لواجهة كورونا"، نشر بتاريخ: 2020/03/13، على الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/32QLPph، تم التصفح بتاريخ: 2020/07/02.

– Food and Agriculture Organization of the United Nations report,Novel Coronavirus(Covid–19)",on the website https://bit.ly/39fQIsU, This site was viewed: 04/07/2020

– Saud Al-Sharafat, Securitization of the Coronavirus Crisis in Jordan: Successes and Limitations,on the websit: https://bit.ly/2WNnf4P .https://bit.ly/2WNnf4P, viewed on : May 11, 2020

– Sara ,E. Davies,National Security and Pandemics,United Nation, On the website: https://www.un.org/en/chronicle/article/national-security-and-pandemics

– Tarik M.Yousef, Rani Alaadin and other, Brooking experts on the implication of COVID–19 for the Middle East and North Africa, on the website:https://brook.gs/39eW47N , viewed on : March 26, 2020.